أعلام النّحاة فى القرن الثانى للهجرة(دراسة موضوعية)

Prominent Grammarians in the 2nd Century A.H (A Subjective Study)

Dr. Muhammad Nasir Mustafa
Lecturer (Arabic) Department of Arabic Language &Literature, University of Sargodha, Sargodha
Email: nasir.mustafa@uos.edu.pk

Abstract
No sooner had Abu Al-Aswad established grammar, and people knew about him and his learning and his students used to come to him for learning from different areas. He made grammar more productive and fruitful. After some time, the people had been prepared for it by the grace of Almighty Allah God in the best possible way. They worked hard for its propagation and set the directions and indications for its improvement. The grammarians walked on his footsteps and excelled in this field, specially the grammarians of 2nd Century after Hijra, in this research, I will talk about the most prominent grammarians in the second century AH, because grammar became popular and flourished in this distinguished century. My research is based on the introduction, the meanings of grammar lexically and idiomatically, prominent grammarians in the second century AH, references and sources.

لم يكد أبو الأسود يضع النّحو، ويعلم الناس نبأه عنه، حتى أقبل تلاميذه عليه يأخذون عنه، ثم يأخذ تلاميذهم عنهم من بعده، وهكذا جعل النّحاة يتتابعون مع الأيّام طبقات، يأخذ اللاّحقون منهم عن السابقين، وجعل النحو ينمو غرسه، ويشتدّ عوده دراكا عصرا بعد عصرً، حتى كأنّ القوم قد أعدّهم الله له من قبل على أفضل ما يكون الإعداد، فما بهم إلا أن تومض ومضة البدء، وتشير إشارة التوجيه ليمضوا به خفافا، فإذا هم بعد قليل قد طووا به شوطًا بعيدا لم يكن ليبلغه لولا العمل الدّائب، والجهد المتصل.وفي هذاالبحث أتحدّث عن أعلام النحاة في القرن الثانى الهجرى لأن شاع و نبغ النحو فى هذاالقرن المتميز. يعتمد بحثى هذا على المقدّمة وتعريف النحو لغة و إصطلاحا وأعلام النحاة فى القرن الثانى الهجرى والمراجع والمصادر.

النحو لغة:

بين ابن منظور في كتابه: النحو: إعراب الكلام العربي. والنحو: القصد والطريق، يكون ظرفا ويكون اسما، نحاه ينحوه وينحاه نحوا وانتحاه، ونحو العربية منه، إنما هو انتحاء سمت كلام العرب

في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذ بعضهم عنها رد به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوا كقولك قصدت قصدا[1]

وأظهر معاني النحو لغة وأكثرها تداولا هو (القصد) ، وهو أوفق المعاني اللغوية بالمعنى الاصطلاحي في رأي جماعة من العلماء.

و قال الخليل:النحو: القصد نحو الشيء. نحوت نحوه، أي: قصدت قصده وبلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية، فقال للناس آنحوا نحو هذا فسمي نحوا. ويجمع على الأنحاء[2].

وذكر ابن فارس في مقاييسه:(نحو) النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد. ونحوت نحوه. ولذلك سمي نحو الكلام، لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به[3].

وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط:النحو: الطريق،والجهة، أنحاء ونحو، والقصد، يكون ظرفا واسما، ومنه: نحو العربية، وجمعه: نحو، كعتل، ونحية، كدلو ودلية. نحاه ينحوه وينحاه: قصده[4].

وقال الأبذي في كتابه:النحو في اللغة: القصد. حد النحو: علم به يعرف أحوال أواخر الكلم العربية إفرادا وتركيبا[5].

النحو إصطلاحا:

قال الجرجاني، النحو: هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل: النحو: علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال، وقيل: علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده[6].

وذكر الأشموني: النحو هو علم لمستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها[7].

وذكر الأبذي في الحدود في علم النحو: النحو: علم به يعرف أحوال أواخر الكلم العربية إفرادا وتركيبا[8].

وقال ابن السراج :النحو إنما أريد أن ينحو المتكلم إذا استعمله كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب[9].

وقال الفاكهي النحو: علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء[10].

أعلام النحويين فى القرن الثانى للهجرة:

لم يكد أبو الأسود يضع النّحو، ويعلم الناس نبأه عنه، حتى أقبل تلاميذه عليه يأخذون عنه، ثم يأخذ تلاميذهم عنهم من بعده، وهكذا جعل النّحاة يتتابعون مع الأيّام طبقات، يأخذ اللاّحقون

منهم عن السابقين، وجعل النحو ينمو غرسه، ويشتد عوده دراكا عصرا بعد عصر، حتى كأنّ القوم قد أعدّهم الله له من قبل على أفضل ما يكون الإعداد، فما بهم إلا أن تومض ومضة البدء، وتشير إشارة التوجيه ليمضوا به خفافاً، فإذا هم بعد قليل قد طووا به شوطًا بعيداً لم يكن ليبلغه لولا العمل الدّائب، والجهد المتّصل.

1– عبدالله بن أبي إسحاق(117هـ):

هو عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، أخذ عن يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، ويقولون: إنه فرع النحو، وأعمل القياس فيه، ودرس الهمز، وله فيه كتاب. وتوفي سنة 117هـ[11]. ومن نقول سيبويه عنه: أنّه كان يقرأ آية ﴿يا ليتنا نرد ولا نكذّب بآيات ربنا﴾[12]، بنصب نكذّب.

2 – أبو عمرو بن العلاء(154هـ):

اسمه كنيته على المشهور، وقيل: اسمه زبان، ولد بمكة سنة 68، ونشأ في البصرة، وأخذ عن عبدالله بن أبي إسحاق، ويحيى بن يعمر، وقرأ على أنس بن مالك، والحسن البصري.وهو من القراء السبعة، وكان إمام أهل البصرة في القراءات، والنحو واللغة، وأيام العرب والشعر، مع الصدق والثقة والزهد، وكان من أشراف العرب ووجهائها، وتوفي سنة154هـ[13].

ونقل عنه سيبويه أكثر من أربعين نقلاً، معظمها من طريق يونس بن حبيب، ومنها: قوله عن المستثنى بإلا حين يكون الكلام تامًّا منفيًّا: الوجه ما أتاني القوم إلا عبدالله. ولو كان هذا بمنزلة أتاني القوم ما جاز أن تقول ما أتاني أحد، كما أنه لا يجوز أتاني أحد[14].

وقوله: واعلم أن ما كان صفةً للمعرفة لا يحسن أن يكون حالاً ينتصب انتصاب النّكرة[15].

3 – الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي(170هـ):

هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي، ولد سنة 100، وأخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، وغيرهما، وخرج إلى البادية يشافه أهلها، و يأخذ عنهم اللغة، ويعدّ الخليل من أفذاذ التاريخ، وأصحاب الأوليات في العلوم.

آتاه الله حسًّا لغويًّا مدربا، وذهنا رياضيًّا بارعا، وذوقاً موسيقيًّا مرهفًا؛ فبلغ الغاية في النحو، واخترع العروض وخرج به على الناس علما كاملاً، كما اخترع طريقة تدوين المعاجم، واستنبط من النحو في أصوله وفروعه، وعلله وأقيسته ما لم يسبقه إليه سابق، ونقل عنه سيبويه أكثر من خمسمائة نقل.

وكان – رحمه الله– عفيفًا زاهدًا متقشّفًا؛ قضى حياته منقطعا للعلم والتعليم، وتوفي سنة175هـ[16].

4- يونس بن حبيب(182هـ):

هو أبو عبدالرحمن يونس بن حبيب الضبّي، ولد سنة 90، وأخذ عن أبي عمرو، ويقولون: إنه كان صاحب قياس في النحو، وله مذاهب تفرد بها، وقد نقل عنه سيبويه نحو مائتي نقل، وأكثر ما نقل عنه بابان من التصغير، فقال: وجميع ما ذكرت لك في هذا الباب، وما أذكره لك في الباب الذي يليه قول يونس[17]، وتوفي سنة 182هـ.

وممّا نقل عنه قوله: "وسمعنا بعض العرب يقول: (الحمد لله رب العالمين) فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية"[18]

وقوله: "ومن ذلك: قول العرب: من أنت زيدًا؟ فزعم يونس أنه على قوله: من أنت تذكر زيدًا؟ ولكنه كثر في كلامهم، واستعمل واستغنوا عن إظهاره"[19].

5- سيبويه(180هـ):

هو عمرو بن عثمان بن قنبر، وسيبويه لقبه الذي لا يكاد يذكر أو يعرف إلا به، ولد بالبيضاء إحدى مدن فارس، ونشأ وأقام بالبصرة، وأخذ عن الخليل، وأطال ملازمته، وكان أحب تلاميذه إليه، وأخذ كذلك عن عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، وغيرهما، وهو صاحب أعظم كتاب في النحو، وأبقاه على الأيام، وتوفي سنة 180 هـ[20].

كتاب سيبويه:

لم يسم سيبويه كتابه، ولا جعل له مقدّمة ولا خاتمة، ولعلّه كان على نية العود إليه لبعض الأمر، لكن عائقًا حال دون ما كان ينويه، ومن قبل سمى عيسى بن عمر كتابين له، أحدهما ''الإكمال، والآخر ''الجامع.

على أنّ القدماء سموه عنه؛ إذ أطلقوا عليه اسم ''الكتاب، غير موصوف بوصف، ولا معيّن بإضافة، فكان إذا ذكر لفظ الكتاب مجردا فهو كتاب سيبويه، كأنّما هو وحده الكتاب على الحقيقة، وما سواه فكتاب على المجاز!

وسيبويه لا يقرر في الكتاب قواعد، ولا يشترط للأحكام شروطًا، ولا يلتزم تعريف المصطلحات، ولا ترديدها بلفظ واحد؛ وإنّما الكتاب فيض غزير من الأساليب والمفردات، وبعض الأساليب مأثور، وبعضه محدث، يعرضها سيبويه ليدرسها ويحلّلها، ثم يقضي قضاءه فيها صحة أو خطأً، حسنًا أو قبحا، كثرةً أو قلّةً،، وهكذا.

وهو في أثناء ذلك يعرض صنوفًا من سماعه، وكثيرا من آراء شيوخه، ولا سيما الخليل، فينقدها، أو يعلق عليها، أو يجعل منها تماما للمسألة التي يدرسها، أو تأييدًا لها، وكذلك يزجي كثيرا

من لغات العرب، وفيضا من الشواهد المتنوعة، بعضها آيات من القرآن الكريم، وعدّتها: 373، ولا يفوته أن يذكر قراءاتها عند الحاجة إليها، وبعضها الآخر من الشّعر، وعدتها 871، ومن الرجز، وعدّتها 190، ولا يفوته أن يصحح نسبة الشواهد التي يرى أنّها منسوبةٌ إلى غير أصحابها[21].

تلك عدّة شواهد سيبويه بحسب إحصائي لها، وبعض شواهده من الشعر والرجز غير منسوب إلى قائليه، لكن العلماء يثقون بشواهده كلّها، ويتقبلونها عنه بقبول حسن، وله شواهد من الأحاديث النبوية، لكنه لا يذكرها بما يدلّ على أنّها أحاديث، ومنها:

1 –سبوحا قدّوسا رب الملائكة والروح[22].

2–ما من أيام أحب إلى الله فيها الصوم من عشر ذي الحجة[23].

3– كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه هما يهودانه، وينصرانه[24].

ويغلب على عبارة الكتاب التلاحم والانسياب، حتى ليقل أن تمر فيها بمقطعٍ يحسن الوقف عليه إلا حين يصرف القول عن وجهه إلى شاهد يرويه، أو سؤال يسأله، أو حوار يديره، وهي واضحة بينة حينا، وغامضة مبهمة حينا آخر، ولا يلتزم الذهاب بها إلى معناها قصدا، فربما طاب له الاستطراد إلى غير ما يكون فيه من مقام؛ كاستطراده من القول في الاشتغال إلى القول في صيغ المبالغة[25].

ولا يكتفي سيبويه بواقع النصوص في استنباط الأحكام، ولكنه يلجأ أحيانا إلى فرض الفروض، ثم يشرع لها إكمالاً لصورٍ عقليّة تتمثل في ذهنه، أو تداركًا لما فات النصوص أن تلم به. كذلك لا يقتصر على مسائل النّحو والصرف؛ بل يزيد عليهما مباحث قيمة رآها موصولة الأسباب بهما، ونقلها العلماء من بعده إلى علوم أخرى, ونكتفي هنا ببيان مواطن بعض هذه المباحث من ''الكتاب، ومواطنها من الكتب التي نقلت إليها، وليست من كتب النحو والصرف.

لقد نقل عبدالقاهر إلى ''أسرار البلاغة''. من باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى[26] ونقل إلى "دلائل الإعجاز"[27] من باب من النكرة يجرى مجرى ما فيه الألف واللام[28] ومن باب ما يحسن عليه السكوت[29].

فلا تعرف العربية كتابا حفل به الناس، وأفادوا منه على تعاقب الأجيال ككتاب سيبويه؛ فقد ألفوا عنه كتبًا، وأداروا حوله دراسات لا تحصى كثرةً:

ألّفوا في شرحه، والتعليق عليه، والتمهيد له، وترتيب مسائله، وحل مشكلاته، وتوضيح غريبه وشرح شواهده، وتجريد أحكامه، اختصروه، واختلفوا فيه ما بين متعصب

عليه، ومتعصب له، وانتصر لهؤلاء أنصار ومؤيدون، ومنهم من انقطع له حتى حفظه، أو أتقن فهمه وتخصص فيه.

ولم يقدّر لسيبويه أن يقرأ الكتاب على أحد، أو أن يقرأه عليه أحد، وإنّما قرأه الناس بعده على أبي الحسن الأخفش[30] فقد ورث – رحمه الله – علم سيبويه، وكان طريق الناس إليه؛ كما حمل سيبويه علم الخليل، وكان طريق الناس إليه.

6 – معاذ الهراء(187هـ):

هو أبو مسلم معاذ الهراء، نشأ بالكوفة، وكان يبيع الثياب الهروية، فعرف بها، أخذ عنه الكسائي والفراء، ويقال: إنّه أول من وضع التصريف، وتوفي سنة 187هـ[31].

7 – الكسائي(189هـ):

هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، إمام نحاة الكوفة، وأحد القراء السبعة، نشأ بالكوفة، وأخذ عن الهراء، والخليل، وأقرأه الأخفش كتاب سيبويه، ورحل إلى البادية فحفظ كثيرا من اللغة، وعهد إليه الرشيد في تأديب الأمين والمأمون، توفي سنة 189، ومن كتبه: ''معاني القرآن، و''مختصر النحو، ويعد الكسائي إمام نحاة الكوفة[32].

ومن آرائه النحوية: جواز إعمال اسم الفاعل وهو ماضي الزمن[33].

8 – الفراء(207هـ):

هو أبو زكريا يحيى بن زياد الدّيلمي، ولد بالكوفة، وأخذ عن الكسائي، وعن يونس بن حبيب، وكان أبرع الكوفيين في علمهم، وتوفي سنة 207هـ[34].

ومن كتبه: ''معاني القرآن، و''المذكر والمؤنث، و''المقصور والممدود.

ومن آرائه النحوية: أن الاسم الذي بعد لولا ليس مبتدأ؛ بل مرفوعا بها؛ لاستغنائه بها كما يرتفع الفاعل بالفعل[35].

9– الأخفش(215هـ):

هو سعيد بن مسعدة، الملقّب بالأخفش، أصله من منبج، ثم سكن البصرة، وأخذ عن سيبويه، وكان يقول: ما وضع سيبويه شيئا في كتابه إلا عرضه علي، وكانت له مكانةٌ رفيعةٌ في النحو بين البصريين والكوفيين، قرأ النّحو على سيبويه، وهو وحده طريق الناس إلى كتابه، توفّي سنة 215 على التقريب[36].

ومن مؤلّفاته في النحو: كتاب ''المقاييس، و''الاشتقاق. وله آراء منثورة في كتب النحو، منها: أنه يجيز جمع أسماء العدد، ولا يجيز غيره أن يجمع منها إلا المائة والألف[37].

المصادر والمراجع:

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب،دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ،310/15 [1]

2 الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، طبعة: دار ومكتبة الهلال، 302/3.

3 ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، القزويني، الرازي، أبو الحسين، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، 403/5.

4 الفيروز ابادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، طبعة: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ ، 1337/1.

5 شهاب الدين الأبذي، أحمد بن محمد بن محمد البجائي، الحدود في علم النحو، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،1421هـ، 434/1.

6 الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، طباعة: مطبعة دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ ، 240/1.

7 نور الدين الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1419هـ ، 19/1.

8 شهاب الدين الأبذي، الحدود في علم النحو، 434/1.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل، الأصول في النحو، طباعة: مطبعة مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، 37/1 [9]

10 الفاكهي، عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن علي، الحدود النحوية،89، خالد الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي، شرح التصريح على التوضيح، طباعة: مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 14/1.

القفطي، إنباه الرواة، 207/1.[11]

سورة الأنعام:27[12]

مراتب النحويين، 13، وطبقات النحويين، 28، وطبقات القراء:288/1.[13]

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الكتاب، طباعة: مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ،360/1.[14]

سيبويه، الكتاب،360/1.[15]

مراتب النحويين، 27 – 41، وطبقات النحويين، 43 – 47، والقفطي، إنباه الرواة،34/1– 47.[16]

17 سيبويه، الكتاب،109/1. والطنطاوي، الشيخ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، طباعة: مكتبة إحياء التراث الإسلامي،1426هـ، 81.

سيبويه، الكتاب،248/1.[18]

المرجع نفسه،147/1. [19]

مراتب النحويين، 65 وطبقات النحويين، 66، والقفطي، إنباه الرواة،346/2.[20]

سيبويه، الكتاب،336/1. [21]

المرجع نفسه،164/1، مسلم، صحيح مسلم، 51/2.[22]

المرجع نفسه،32/1، والحديث في الجامع الصغير بشرح السراج المنير، 255/3. [23]

المرجع نفسه،396/1، والحديث في التجريد الصريح، 93/1. [24]

المرجع نفسه،56/1.[25]

سيبويه،الكتاب، 108[26]/1

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، دلائل الإعجاز، طباعة: مطبعة المدني بالقاهرة، 233، 247.[27]

سيبويه،الكتاب،166/1 [28]

سيبويه،الكتاب،284/1 [29]

السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان، أخبار النحويين البصريين،طباعة، مصطفى البابي الحلبي، 1373هـ، 50.[30]

ابن نديم، الفهرست، 96 والقطفي، إنباه الرواة، 288/3، والسيوطي، بغية الوعاة، 290/2.[31]

وابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف، غاية النهاية في طبقات القراء، طباعة: 1351هـ ، 535/1. [32]

الوقاد، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد ، شرح التصريح على التوضيح،طباعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 66/2.[33]

مراتب النحويين، 86، وطبقات النحويين، 143. [34]

السيوطي، همع الهوامع، 105/1.[35]

السيرافي، أخبار النحويين البصريين،50، والسيوطي، بغية الوعاة، 590/1. [36]

همع الهوامع في شرح الجوامع:43/1 [37]